القيادة وإتّباع القائد

قراءة في صلاة الجماعة



رشيد السراي

2012

القيادة وإتّباع القائد

قراءة في صلاة الجماعة

رشيد السراي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قراءةٌ في أحكامِ صلاة الجماعة ، ومحاولةُ استنطاقها حول مفهوم القيادة وآلية إتباع القائد، هذا ما ننوي الحديث عنه في هذا البحث.والاستنطاق هنا يمثل قراءة جديدة ، يمكن أن يُقال عنها إنها قراءة تنظيمية أو مؤسساتية ،ولكنه ليس تأويلاً ولا تفسيراً ، ولا بحث عن علة الحكم ، ولا هو تحميل للنص أكثر من طاقته ، ولا يلغي صحة غيره من القراءات.

لاشك في إن الإسلام أولى مسألة القيادة وكيفية التعامل معها عنايةً خاصةً ، ونحن هنا بصدد استنطاقِ واحدة من الشعائر الإسلامية الجماعية لتسليط الضوء على مواصفات القائد ، وما هو المطلوب تجاهه؟

اعتقد إن الكثيرين يوافقونني الرأي على أننا في واقعنا الإسلامي نعاني من أزمتين كبيرتين ألا وهما : أزمة معرفة القائد ، وأزمة كيفية التعامل معه.

فنحن بين تحديدٍ خاطئٍ لمواصفات القائد أو لشخصه ، وبين طاعةٍ عمياء للتشخيص الخاطئ وتمردٍ على التشخيص الصحيح. وبين هذا وذاك ضاعت الكثير من فرص الإصلاح ، وحدثت الكثير من المظالم.

ولست ادعي اني من خلال محاولتي المتواضعة هذه سأحل المشكلة!!

وإنما هي محاولة لتوضيح بعض الأمور المتعلقة بالمسألة بالاستفادة من نصوص الشريعة المقدسة ، والتي لو أُدركت إدراكاً صحيحاً وأخذت حظها من التطبيق لأتت أؤكلها بكل تأكيد.

بعض مواصفات القائد من خلال مواصفات إمام الجماعة:

"شرائط إمام الجماعة يشترط فيه أمور : البلوغ ، والعقل ، والإيمان ، والعدالة ، وأن لا يكون ابن زنا ، والذكورة إذا كان المأمومون أو بعضهم رجالاً وأن لا يكون قاعداً للقائمين ، ولا مضطجعاً للقاعدين ، ولا من لا يحسن القراءة بعدم إخراج الحرف من مخرجه أو إبداله بآخر أو حذفه أو نحو ذلك حتى اللحن في الإعراب ، وإن كان لعدم استطاعته غير ذلك"[1].

سنتحدث عن الشرطين الأخيرين فقط لوضوح ما قبلهما:

[1] -العروة الوثقى لليزدي ج٣ ص١٨٥.

أ-" وأن لا يكون قاعداً للقائمين، ولا مضطجعاً للقاعدين":

ويمكن ان نفهم منه :

١-ضرورة أن يمتلك القائد رؤية -لا نقصد مجرد الرؤية البصرية- أوسع من رؤية أتباعه -لو لحظناهم فرداً فرداً- فمن الطبيعي أن تكون الرؤية البصرية للقاعد اقل مدى من رؤية القائم ورؤية المضطجع اقل من رؤية القاعد وهكذا، وفي هذا إشارة للرؤية التي نتحدث عنها.

٢-أن يكون القائد ابرز من أتباعه إعلامياً ، فان كون القائد قاعداً وأتباعه قائمين أو مضطجعاً وأتباعه قاعدين ،وبملاحظة ما قلناه في النقطة السابقة عن سعة الرؤية ،فهذا يقودنا إلى إدراك انه من الضروري أن يكون القائد ابرز إعلامياً من أتباعه لان خلافه سيقود إلى الفشل في العمل.

٣-مما لا شك فيه إن القائم أسرع في التجاوب وأكثر حركة من القاعد والأخير أسرع في التجاوب وأكثر حركة من المضطجع ، فمن هذا نفهم انه لا يمكن بحال القبول بكون القائد اقل وأبطأ حركة من أتباعه واقل استجابة للأحداث والمشاكل. فعلى القائد أن يكون أكثر نشاطاً وأغزر إنتاجاً وأسرع استجابة لمجريات الأمور من أتباعه.

ب-" ولا من لا يحسن القراءة بعدم إخراج الحرف من مخرجه أو إبداله بآخر أو حذفه أو نحو ذلك حتى اللحن في الإعراب، وإن كان لعدم استطاعته غير ذلك"

ويمكن أن نفهم منه:

إن القائد يجب أن يتقن مخاطبة الأتباع والجماهير. فكما إن من لا يحسن القراءة لأي سبب كان ربما سيحدث

خللاً لدى المصلين لان لحنه مثلاً سيقود إلى اخذ تصور سلبي عنه من بعض المصلين على الأقل ممن يعرفون هذه الأخطاء ، وبالتالي فهم لن يفكروا في الصلاة خلفه مرة ثانية وربما يسعى بعضهم لتعريف الآخرين بهذه الأخطاء ، وهذا اللحن قد يغير المعنى الحقيقي للآية في أذهان بعض السامعين فيكون منشأ للشبهات.

خلاصة القول في هذه النقطة إن القراءة في صلاة الجماعة هي الجانب الأهم في العلاقة بين الإمام والمصلين. ومن هذا نفهم إنه من غير الصحيح أن يُخطأ القائد في مخاطبة الجماهير لأي سبب كان ولا يتقن فن مخاطبة الجماهير ، ومن غير المعقول أن يكون القائد أقل مستوى في هذا الأمر من بعض أتباعه.وليس معنى ذلك إن القائد يجب أن يكون خطيباً مفوهاً بالمعنى المفهوم في زماننا وإنما نقصد به:

١-أن يكون القائد عارفاً بأحوال الناس وبالتالي يعرف كيف ومتى يخاطبهم.

٢-أن لا يخطأ القائد في مخاطبة أتباعه وغيرهم من خلال الخطأ في كلامه من الجانب اللغوي أو المضمون أو آلية الخطاب وتوقيته وبالتأكيد لا نقصد من كلمة لا يخطأ أن يكون معصوماً!

متى يجب على القائد التحرك؟ وكيف يتم أتباعه؟

١-نفهم من مسألة إن صلاة الجماعة في غير الجمعة والعيدين يمكن أن تنعقد باثنين احدهما الإمام، في حين صلاة الجمعة والعيدين لا تنعقد إلا بخمسة أحدهم الإمام،أقول نفهم منه إنه كلما كان التحرك أكبر ومساحة العمل أوسع كلما تطلب توفر مقدار من الأتباع يناسب ذلك التحرك، ولعل ذلك من الواضحات ، ولكننا أردنا أن نضيف بأن القائد قد يُشخص إن العدد غير متوفر أو متوفر ولكن الأفراد غير مناسبين لأي سببٍ كان فيحد من تحركه أو يتوقف. لأنه لو خالف ذلك لحكم على تحركه بالفشل فينبغي للأتباع الانتباه لذلك، وأن يتقبلوا

التشخيص هذا إذا كان مبني على أسس صحيحة وأن لا يوهموا القيادة بتوفر العدد أو نوعية الأفراد المطلوب في حين إن الواقع خلاف ذلك.

٢- نفهم من المسائل التي تتحدث عن الحالات التي يصح فيها الدخول في صلاة الجماعة لمن لم يكن داخلاً فيها من البداية وتوقيت ذلك في ظروف وحالات معينة، نفهم منه إن الالتحاق بقيادة ما متأخراً ممكن ولا مانع منه شرط أن يكون بنية حسنة ولأسباب معقولة، ويتطلب اختيار التوقيت المناسب لذلك الالتحاق ولا تكون المسألة متاحة في كل وقتٍ وحالٍ ولكلِ احد.

٣- ونفهم من مسألة جواز الالتحاق بالإمام في التشهد الأخير أو التسليم ، وحصول المأموم على فضل صلاة

الجماعة ولكن المطلوب منه إتمام صلاته، نفهم منها إن لكل التحاق فضل خاص وكلما كان الالتحاق مبكراً كلما كان ذلك أفضل.

ولكن الالتحاق مطلوب على كل حال ، وهذا ما نفهمه من مسألة جواز الالتحاق بالجماعة والتكبير والمشي في الركوع لمن خاف أن لا يدرك الجماعة وكان بعيداً عن محل إقامتها ولكنه يشاهدها.

وليس الالتحاق بالقيادة الصحيحة مطلوب في كل وقت فقط ، ولكنه مطلوب على كل حال وهيئة ، وحتى لو استلزم تحمل محاربة الآخرين وسخريتهم ، كما قد يتعرض لذلك الملتحق بالصلاة وهو يمشي راكعاً فتأمل!!

القيادة البديلة

١-نفهم من مسألة أن يقدم المصلون منهم من يؤمهم في حال حدوث أمر ما للإمام يمنعه من إتمام الصلاة، نفهم منه إن المقصود من (منهم) أن يتوافق معهم في الكثير من الرؤى وأساليب العمل وكان قد بدأ بالصلاة معهم ومستمر معهم فيها، ومن الطبيعي أن يكون الشخص الذي يتم تقديمه لإتمام الصلاة من السطر الأول –كما سنعرف في النقطة التالية- لأن الاختيار إذا كان من الصفوف التالية يحدث إرباك ويجعل المصلي يتحرك أكثر من المطلوب وربما بطلت صلاته ، ويحدث إرباك لصفوف المصلين أيضاً وربما أبطل صلاتهم، وهذا ما نفهم منه إن اختيار البديل عن القائد يجب أن يكون من الصفوف المتقدمة ، وأن يكون مهيئاً للقيام بمهام القائد واختيار البديل من الصفوف المتأخرة يحدث إرباكاً في المجموعة

وقد يؤدي إلى إفشال عملها، خاصة وأن من يكون في الصفوف المتقدمة يكون مرئياً للجميع بينما من يكون من الصفوف المتأخرة فإنه يكون مرئياً ممن يكون خلفه فقط، ونقصد بمرئي هنا إن إمكانياته وعمله واضح لأنه تحت الأنظار في اغلب الأحيان.

٢- من مستحبات صلاة الجماعة أن يقف أهل الفضل في الصف الأول ، وأفضلهم في يمين الصف وميامين الصفوف أفضل من مياسرها. وهذا ما نفهم منه إن التراتبية في القيادة يجب أن تكون على أساس الفضل-في الصفات والعمل-لا على أساس شيء آخر، فمن كانت صفاته وعمله أفضل يُقدم حتى يصل الدور إلى القيادات العليا-الحلقة الأقرب للقائد- والتي يجب أن يكون فيها الأفضل في الصفات والعمل وأن يكون جاهزاً لنيابة القائد في حال عدم وجود القائد –بشكل مؤقت أو دائمي-لأي سبب من الأسباب.

العلاقة بين القائد وأتباعه

١-ونفهم من مسألة شرائط انعقاد الجماعة بعدم وجود حائل مانع من الاتصال بين الإمام والمأموم وبين المأمومين أنفسهم، نفهم منه إن فقدان التواصل بين القائد وأتباعه –تواصله معهم وتواصلهم معه- يربك العمل كثيراً وغالباً ما يكون مصير مثل هكذا عمل الفشل،فالتواصل مع القيادة من قبل الأتباع وتواصل القيادة مع أتباعها دون حواجز-إلا ما تقتضيه ضرورات العمل- أمر لا بد منه ، وكذلك ضرورة التواصل بين الأتباع أنفسهم.فالقائد الذي يضع حاجزاً بينه وبين أتباعه-لأي سببٍ كان- سيخسر إتّباعهم له وسيخسرون قيادته، وسيُربك العمل كلياً حد الفوضى، كما إن الإمام

الذي يصلي خلفه الناس من وراء حائل قد يسجد ولازال أتباعه راكعون!!!!

وهذا ما نفهمه أيضاً من عدم جواز التباعد المفرط بين المأموم والإمام وبين المأمومين أنفسهم لأنه سيكون حاجزاً عن التواصل.

وهذا الشرط أي عدم وجود الحائل وعدم التباعد ليس شرطاً في بداية الأتباع أو بداية ممارسة القائد لمهام القيادة فقط فقد يحدث في إثناء العمل أن توضع الحواجز ويحدث التباعد وتأثيرها هنا يشبه تأثيرها هناك.

٢-ونفهم من مسألة عدم جواز ارتفاع موقف الإمام عن موقف المأمومين ، وجواز ارتفاع موقف المأمومين عن موقف الإمام إلى مقدار معين. نفهم منه درساً أخلاقياً

يلزم القائد بأن يتواضع لأتباعه وأن لا يتكبر عليهم ويرى نفسه في موضع أعلى منهم بل إن قيادته تصبح محل شك-عدم جواز- إذا رأى نفسه أعلى منهم أو تصرف على أساس ذلك.

٣-ونفهم من مسألة عدم جواز تقدم المأموم على الإمام، إن تقدم احد من الأتباع على القائد في صلاحيات القيادة-دون ضرورة أو وجه حق- أو حتى محاولة التساوي معه يربك العمل وربما يفشله.

٤-ونفهم من مسألة عدم تحمل الإمام عن المأموم من أفعال الصلاة وأقوالها غير القراءة، أن:

أ-القائد مسئول عن الأتباع في أمور معينة.

ب-لا يتحمل القائد أخطاء أتباعه في غير الأمور التي يجب عليهم إتباعه فيها.

ج-يجب على الأتباع أن يفهموا إن ما مطلوب منهم تجاه القائد أتباعه في أمور محددة لا تتعداها إلى غيرها فلا يكلفوا أنفسهم أكثر من ذلك.

د-لا ينبغي للقائد أن يلزم الأتباع بأكثر مما تقتضيه ضرورات القيادة.

٥-ونفهم من ضرورة المتابعة في القيام واشتراط الطمأنينة في هذا القيام، ضرورة متابعة القائد في الأمور المتعلقة بموضوع القيادة بدقة. والطمأنينة في المتابعة نفهم منها هنا إن إحراز الطمأنينة في متابعة القائد أمر مطلوب فالمتابعة المرتبكة ليست ذات فائدة.

وهذا ما نفهمه أيضاً من وجوب متابعة المأموم للإمام في الأفعال وعدم جواز التقدم عليه عمداً.

٦-ومما يستحب للإمام أن يقف محاذياً لوسط الصف الأول، وهذا ما نفهم منه ضرورة توسط القائد واعتداله في العلاقة بينه وبين أتباعه، وأن يحكم تلك العلاقة ضابط الأفضلية فأهل الفضل في الصف الأول وهكذا.

٧- ومما يستحب للإمام أيضاً أن يصلي بصلاة اضعف المأمومين، فلا يطيل إلا مع رغبة المأمومين في ذلك. وهذا ما نفهم منه ضرورة مراعاة القائد لمستويات وقدرات أتباعه في العمل والتكليف وان لا يكلفهم فوق طاقتهم.

٨-ومما يستحب للإمام أيضاً أن يُسمع من خلفه القراءة والأذكار فيما لا يجب الإخفات فيه، وهذا ما نفهم منه ضرورة إيصال تعليمات وإرشادات القائد إلى أتباعه بأقصر الطرق الممكنة وبأقل مقدار ممكن من الوسائط.

٩-ومما يستحب للمأموم أن يقف عن يمين الإمام إن كان رجلاً واحداً متأخراً عنه قليلاً وإذا كانوا أكثر اصطفوا خلفه، نفهم ضرورة ترتب الأتباع خلف قيادتهم بالصورة الأفضل وحسب قاعدة الأفضل التي تحدثنا عنها.وهذا ما نفهمه أيضاً من استحباب تسوية الصفوف وسد الفراغات والمحاذاة في المناكب واتصال الصف اللاحق بمواقف السابق ، وكذلك من كراهة أن يقف المأموم في صف وحده إذا وجد موضعاً في الصفوف وكراهة التنقل بعد الشروع في الإقامة .

١٠-ومن استحباب أن يقف أهل الفضل في الصف الأول ، وأفضلهم في يمين الصف ، وميامين الصفوف أفضل من مياسرها. نعرف إن التراتبية يجب أن يحكمها قانون الأفضلية وان لا تكون فوضوية أو كيفية.

١١-ونفهم من مسألة عدم جواز نقل نية الائتمام من إمام إلى آخر إلا لعوارض خاصة، إن التحول من إتباع قيادة ما إلى قيادة أخرى يجب أن لا يكون كيفياً وإنما وفق شروط وأسس صحيحة.

ولعله من نافلة القول أن نذكر إننا نتحدث عن القيادة الحقة التي ثبتت حقانيتها بالدليل لا أي قيادة مدعاة ، نعم إن ما ذُكر يصلح أغلبه للتعامل مع أي قيادة يُراد لها النجاح

والحمد لله رب العالمين

رشيد السراي

النجف الأشرف

٢٠١٠/٤/١٤

الفهرست